١- الانتقام

هل يستطيع الإنسانُ التخلي عن العواطف الإنسانية؟ وهل يتمكن صاحبُ القرارِ التخلص من المشاعر الوجدانية؟

إن ذلك يعود لطبيعة النفوس، فمن البشر الرقيق العواطف، وفيهم الخشن القاسي، وبينهم الوسط بين هذا وذاك.

وإن العواطف لها سيطرتها، ولها أثرها، وكم هي معاناة حينما يكون الصراع بين العواطف، والحوار بين المشاعر؟

obeikandl.com

لكن كيف يكون ذلك؟ ومتى يحدث ذاك؟ أي واللَّه، إنه كثيرٌ ما حدث لي همٌّ مع الوجدان وإنَّها مرات عايشت تلك اللحظات.

وإنني كثيراً ما تعرضت إبّان مسيرتي الوظيفية لمواقف وأحداث جعلتني حائراً بين عواطف تتصارع، ومشاعر تتداخل، وأحاسيس تهز كياني، وتصحبني حتى مع أسرتي وفي منامي.

ولقد كانت - يمينَ الله - حالات صعبة ومرات قاسية، أن أعيش ذلك الجو، ولكن أحمد الله أنها صارت في سجل الذكريات

obeikandl.com

وكـان الله في عون زمـلائي الذين هم الآن في موقع المـسؤولية، لأنهم يـعايشون تلـك الصور المتكررة.

وإن المعـاناة تكون أصـعب، والمواقف تكون أقــسى؛ حين تتــدخل عــواطفُك، وتضــغط مشاعرُك، ويقف النظامُ أمامَكَ وتكون محكوماً بقانون يجب تنفيذه، وبقرار يلزم العمل به.

ومن تلك الصــور التي مـازالت باقــيـة في الذاكرة، ومـحفوظة في شـريط الأمس وسجل الماضي، أنني فُوجئت ذات يوم في مكتبي بإدارة التعليم بالرياض برجلٍ صيَّـرته الطفرةُ العقارية

غنياً ووجيهاً، بعد أن كان ميسور الحال يقود سيارة أُجرة، وكان الرجل يتباهى بمظهره ويتفاخر بثروته ويتشدق في القول والحديث.

ولم أكن أستقبلُ أولئك الرجال بما يرضي غرورهم، بل أحاول ترويضهم، وكسر كبريائهم، وأُشعرهم أن قيمة الرجل بأخلاقه وليس بماله، وأن التقدير والاحترام لمن يحترم نفسه، ويعرف قدره، ويعلم ذاته.

ولله در الشاعر كُثَيِّر عزّة الأموي حين قال:

وما عظم الرجال لها بزينٍ

ولكن زينهم حسبٌ وخيرُ

المهم، حين زارني الرجل في المكتب وسألته ماذا يريد وما هي حاجته؟

فتحدث عن معلم بإحدى المدارس الابتدائية وصار يذمُّه، ويعيبه، وأنه لا يصلح للتعليم وفيه من العيوب كذا وكذا، وتمادى في سرد زلّات ذلك المعلم، وذِكْر هفواته.

وقلت له: ما علاقتك بالأمر؟ اترك الرجل ولا تتمادى في القول.

قال: إنه لابد من فصله، وإبعاده عن الطلاب.

قلت: وهل أنت وصيٌّ على التعليم، توكل

على الله، واتركنا نعمل.

وخرج الرجل، واتصلت بالمدرسة، وسألت عن المعلم، فأخبرني مديرُ المدرسة بوجوده لديهم، وطلبت من المدير أن يزورني يوم غَدٍ، وفي اليوم التالي حضر مديرُ المدرسة وسألته عن المدرس فذكر أنه يؤدي واجباته، ويحافظ على دوامه، وهو كسواه من المدرسين وسطٌ ليس بالمتميز ولا هو بالضعيف.

قلت: وكيف سلوكه.

قال المدير: لم نلاحظ عليه شيئاً.

وذكرت له أن فلانا (ن، ج) زارني بالأمس

وشتم الرجل، وذكر فيه عيوباً كثيرة.

قال: لعل بينهما خلاف شخصي وأراد الانتقام.

قلت: ربما.

ومضى أسبوع، وإذْ بي أجد الرجل يزورني ويُقدم استدعاءً رسمياً، وأرفق به صورة صك شرعي صادر بشأن ذلك المعلم.

وجلس وقدم الخطاب وصورة الصك وقرأت الصك الشرعي؛ وإذا هو إدانة لذلك المعلم، وحُكم صادر عليه في الصيف، لهفوة وقعت منه فقد تناول عِطراً أسكره، وحكم

obeikandl.com

الشيخ عليه بالجلد.

واحترت في الأمر فالرجل يتابع الموضوع وقد أرسل من هذا الاستدعاء والصك صوراً لجهات حكومية رقابية أخرى هي ديوان الخدمة المدنية، وهيئة الرقابة والتحقيق، وديوان المظالم ووزارة العدل.

وأحلت الأوراق لجهاز التحقيق في إدارة التعليم، ودارت المعاملة وصار الرجل يُداوم كل يوم في الإدارة ويتابع المعاملة في الأقسام.

وجرى دراسة المعاملة في الإدارة القانونية وانتهى الأمر إلى وجوب فصل المذكور فقد

ارتكب جريمة تُخل بالشرف، والنظام يقضي بفصله بناءً على ذلك، وعرف المعلم المذكور بالأمر وراجعني يتشكَّى ويتألم، فقلت: هذا خطؤك، وكُلٌّ يتحمل جريرته.

وأطرق المسكين وذرف دمعةً، ورثيت لحاله ولم نتعجل في إصدار القرار.

وفي اليوم التالي جاءني والد المعلم، وجلس ينتحبُ ويبكي، وتأثرت من بكائه فقد كان كبيراً في السنِّ، وفقير الحال، وأخبرني أن هذا ابنه الوحيد، وأنه لديه ستّ بنات صغيرات وسألت الأب عن عمله.

obeikandl.com

فقال: إنه يبيع ويشتري في سوق الأعلاف وحالتهم ميسورة ولكن راتب هذا الابن يقوم بشؤونهم.

واستدعيت المستشار القانوني وحاولت أن نجد مخرجاً فقد تحرّكت عواطفي، وحاصرتني مشاعري بأن نترفق بهذا المسكين. وأن نعطف على هذا الضعيف، ولكن النظام كان أقوى وعجزت ووقعت قرار فصله وهزم النظام عواطفي، وكسر القانون مشاعري.

إنها صورةٌ صعبةٌ، وحالة قاسية مازالت ذِكراها باقية.

وزاد الأمر مرارة أن الأب والمعلم راجعاني بعد عام، واشتكيا إليّ حالهما وعلمت أن الابن ظل مع أبيه في بيع الأعلاف، وطلب الأب إعادة الابن للعمل، ولكن وجدت أن مؤهله دون الجامعة والوزارة قد أصدرت قراراً بأن يكون الحد الأدني للمعلم أن يكون جامعياً فضلاً عن ذلك السلوك الذي فصل بموجبه.

ولهذا اعتذرت وسألت الله أن يرزقهما وأن يفتح لهما باباً من عنده، ولعل ما حلّ بالمعلم تكفير وتطهير من زلة دُنيوية.

إن ذلك الرجل الذي تابع هذا المعلم وبحث

عن الصك الشرعي وصوَّره كان السبب في فصله ولقد سألت عن أسباب تحامله ورغبته في الانتقام فلم أعرف سبباً يستوجب ذلك التحامل وتلك المتابعة، إلا إذا كان في الأمر سر لم أعرفه ربما، ربما.

وصُورة أخرى لمعلم تخرج من كلية التربية وتعين معلماً في مدينة الرياض ولعله في الثالثة والعشرين من عمره.

وفوجئت ذات يوم بدخوله مع والده وهو مُطرق الرأس، دامع العين، يندب حظه، ويشكو حاله، والأب يُولول، ويعرض صورةَ شيك فيه

مبلغ سبعون ألف ريال مدفوعةً مَهراً لزواجه.

وأجلست الأب وفرَّغت المكتب، وسألته ما القصة؟

قال الأب: إن ابني تعين منذ شُهور، وحدث له مُشكلةٌ سلوكية ونخشى من فصله، وما سيترتب على ذلك فحين يعرف أهل الزوجة بالأمر سيرفضونه وسيردُّونه، ونُصبح أُحدوثة المجالس، وتُلاحقنا نَظرات الشامتين.

فالستر الستر، ونرجوك، المساعدة المساعدة.

وسألت ما المشكلة؟ قال: إنه قُبض عليه في بيت مشبوه.

opeikandl.com

قلت: وما هي الشبهة؟

قال: إنها خلوة بفتاة أجنبية.

وسألته: هل صدر بشأنه صك شرعي؟

قال: نعم.

قلت: وهل يتابع الموضوع أحد، وهل وصلتنا معاملة رسمية بهذا الشأن؟

قال: نعم.

قلت: آهٍ، ثم آهٍ.

قال: لماذا تتأوه.

obeikandl.com

قلت: أخشى أننا لا نستطيع أن نعمل شيئاً فالصك الشرعي هو الفيصل في الأمر، ورثيت لحال الأب ولوضع المعلم الذي هو في مقتبل العمر وعلى أعتاب زواج، إنها غلطة لكن حسابها مرٌ وقاسٍ؛ فالجرائم المخلة بالشرف يستوجب النظام فصل مرتكبيها من الخدمة الحكومية.

obeikandl.com